علم الموسيقى

فى «الدرر المنتخبات المنثورة» ص ٤٣٧ ـ ص ٤٥٤ : (علم الموسيقى، وفيه رسوم النغم وذكر أسمائها). وفى «المنهل الصافى» ج٥ ص ١٥٠ : (علم الموسيقى، وكون العالم نقيه، ومدح هذا العلم).

قلت : وعلماء عصرنا يستعيبون هذا الفن ـ لعدم معرفتهم به، وظنهم أن هذا الفن هو ما يقوله العامة من الغناء والطرب، وليس هو كذلك، وإنما هو علم مستقل بذاته مشتق من العروض، وفيه أراجيز ومصنفات نظم ونثر، وهو فن صعب إلى الغاية لا يصل إليه إلا من له قوة فى عصبه مع معقول جيد وذكاء وحسن صوت، ومن الأراجيز فى هذا العلم قول بعضهم :

أصلُ علم الضروب على أربعٍ انقسمَ وانحَسَبْ

فـــاصلةٌ ومُنْفَـــصِلةٌ والوتدُ والســـبب

وأما علم النغمة فهو : بحرٌ لا قرار له.

وقيل إن ابن كُرْ، هذا كان لا يمر به صوت مما ذكره أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب «الأغانى» إلا ويجىء به ويجيده، وكان فيه شمم وعفاف لم يتخذ صناعة الموسيقى استرزاقًا، بل فكاهة ويروح بها نفسه، قال القاضى شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمرى، وله به صحبة أعرف حقها له : كان يتردد إلى ويتودد ويتفقد، ولقد رأيته غنى فأضحك، وغنى فأبكى، وغنى فأنام، ورأيت بعينى منه ما سمعته أذنى عن «الفارابى» فصدق الخُبْرُ الخَبَرَ، وحقق العين الأثر، ورأيت منه واحدًا سبحان من وهبه مالا هو فى

قدرة البشر. انتهى كلام ابن فضل الله ـ قال الشيخ تقى المقريزى: وأخبرنى خال أمى القاضى تاج الدين إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب المخزومى الشهير بأبى الخطباء قال: أخبره الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى عن (ابن كُر) هذا، أنه مر ببغلته على طائفة يغنون فحركها حتى مشت على الدف والإيقاع، وهذا شىء لم يبلغه أحد غيره.

وفى «أزاهير الرياض المريعة» فى اللغة للبيهقى ص ١٥٩: (الموسيقى تأليف الألحان، والموسيقار: المطرب، واللفظ يونانى).

رسالة فى علم الموسيقى

وفى «المقامات الجلالية الصفدية» من ص ٢١٥ ـ ٢٢١: الموسيقى والكلام فى أصلها، ومن بين الصفحات أوائل ص ٢١٨: معنى الموسيقار، وبعدد أسماء الأنغام الخ، ثم قال المؤلف: (وصرح بالفراغة ديباج ميزانه، فحفظت عنه ضمائر الرسالة، وكتبت منه جواهر المقالة، هذا وفى ضميرى أن أسأله عن علم الموسيقى، وأصل ترتيبه فى السر والإجهار، وأول منشأه ومن أنشأه، ومن أين مبتداه، وإلى أين منتهاه، والخجل يمنعنى أن أتفوه معه بذلك، والوجل يسلك لى فى معناه أضيق المسالك، فظهرت له بارقة فى أسارير يروجه رجائى وفهم عنى ما أقصده من ريضاح سر معنائى ـ فقال: يا ثامر ألك مسألة أخرى لأوضح لك بيان ما تكسبه فى الدنيا والأخرى؟ فقلت بمن فتق صحيح ذهنك بالحكم، ورتق فصيح عقلك بالنعم، إلا ما عرفتنى بالأنغام وأصلها بالإجهار والإدغام، وما هذا النفس الجارى فى آلة الطرب للجوارح، والقبس السارى بنور الأرب بين الجوانح، وكيفية ما تتلذذ به الأسماع، ومعنوية ما تتنبذ به الطباع، وحنين النفوس لديه، وأنين إذهاب البوس بالميل إليه، فقال:

يا سايلى عن حكمة العلام ... فى سايرِ الأحكامِ بالإحكام
وكيف قد أهدَى إلى الأنغام ... بفضله جوارحَ الأنام
والسرُّ فيها كيفَ قَدْ تدبَّرا ... وصار عُرفًا واضحًا بين الورى
اعلم بأن قد كانت الأرواح ... فى الذرِّ لا تحصرها أشباح

من يوم أن قال لها ربُّ المَلاَ ... ألستُ أنى ربكم؟ قالوا: بَلَى
كانتْ بفضْل خالق الأملاك ... تأنيسُها بنغمَة الأفلاك
وهى بما دارتْ لها ألحان ... دبَّرها بعلمه الرحمن
لو سمعوها اليوم أهلُ الأرض ... تمددوا بالطول ثمَّ العَرض
وكانَّ ماتوا كلهم جميعا ... بقدرة الله فكن سميعَا
فعندما انتقلت إلى الجسد ... فى آدم بحكمة الفرد الصمد
انحصرت فى باطن الكوَّاره ... بعد اتساع الفُلْك الدوَّاره
فأطلق الله لها الأسماعا ... فشاهدتْ من نوره شعاعا
واستأنست بنغمة الأفلاك ... وسكنتْ فى ضيقة الشباك
هذا ولما خُلقَ الجنينُ ... فى ظُلمة الأحشاء يا ظنينْ
أطلقَ منه السمع حتى سكنَا ... ما بين ماء ودمٍ قدْ سكنا
فصار يستأنسُ بالأنغام ... فى ضيقةَ الموطن والمقام
حتى إذا هو انتهى قام خَرَجْ ... إلى الوجود ما عليه من حَرَجْ
لكنه باك على النغمات ... إذا قُطعتْ عنه ولم توُات
فخنَّتْ وذكرتْهُ الدَّايه ... بنغمة الأفلاك فى البداية
فعندها أضحَى الصغيرُ ساكتَا ... وآنَّ فيما اعتَراه باهتا
وإن هذا وضعوهُ الحُكَما ... مُنوَّعًا مُركَّزا مستفهما
فصار بين الناس أمرًا شايعًا ... وحاكيًا فناطقًا وسامعا
فكلُ من يعمل فى الأثقال ... مثلُ الفَتى القصار والعتّال
وساير الصنايع القويَّهْ ... قد استعانُوا بالغنا سويه
حتى الجمَالُ فى الحُمول الوافره ... تَحْدُو لها حُدَاتُها المُسَافره
فعندها تسمعُها تسيرُ ... بقوّة أوهبها الخبيرُ
وهكذا إذا اعتَرى المرءَ عَرَضْ ... فى ساير الأعضاء من نوع المرض
يهذّبوا أخلاقَه بالطرب ... ويبسطُوا آمَالُهُ بالأرب
فإن رأيتَ راقصًا فى الطابق ... وهو شبهُ المُستهام الآبق

وسـايـر الحُـداةُ ذاك النغَـمـا ... بحُـسْنِ وضْعٍ أتقنوه الحُكمـا
فـدَعْـهُ لا تعـدُو عليـه نـاكـرًا ... فـإنـه لـلـه ربى ذاكـرًا
وقَـصْـدُه يخـرجُ من هذا الخـلَلْ ... شَـوقـا إلى مـا كـان فيـه فى الأزل
فـاسـمع بُنَىَّ هـذه الأرجـوزه ... فـإنهـا مكرومـةٌ مـعـزوزة

قال ثامر بن زمام فقلت: يا من تعلق فى العلوم، وتنمق فى المنثور والمنظوم، اشرح لى معنى أصولها، وأوضح لى مدغم فصولها، وكيفية ترتيب البردات، ومعنوية تهذيب الأوازات، وفروع تركيب البحُور والشواذات وتنكيت أركانها المرصعة، على توقيت العناصر الأربعة، وقانونها بالاختلاط للأربعة أخلاط، ومطابقتها للبروج الاثنى عشر بالتخفيف، وإن كان ضعيف، وما هو هذا اللفظ المغم والحرف المعجم الذى لم يتكمل منه كلمة لتعلم، فقام:

أمـا حـديثُ الحـرف بالإدعـام ... وأنـه حـرفٌ من الكـلام
فـعندمـا الأرواحُ كـانت فى الازل ... كـالـذرِّ فى غـيـبٍ قـديمٍ لـم يزل
تأنيـسـهـا بنعـمـة الأفـلاك ... كـمـا ذكـرت أولا يا حـاكى
فـحـيـن حلت فى الجـذيذ الفـانى ... انحـصـرت فـيـه بلا تـوانى
وأوجـدتْ فـى ذا الوجـود الـزايل ... نادمَـهـا فـى سـرهـا مُـسَـايل
فـقـال: مـا كـان وكـيـف كنت؟ ... ومـا الذى من سـره فـهـمت؟

قال الراوى فتحققت معنى فضيلته، وتقينت مجنى وسيلته، وقلت عرفنى بالفرق بين الموسيقة، والموسيقى، والموسيقار من تنوع فى فنان، فقال: افهم كلامى يا سايلى وتدبره، الفرق بين الثلاثة ظاهر كضوءِ صباح. الموسيقة هى الآلة من كلِّ فن فى الطرب، والموسيقى هو اللاعب بها بلا استقباح، والموسيقار حاوى العلوم المطرب فافهم معانى كلامى ففيها فلاج وخذ مجانى مقالى أما الأصول فأربعة لها فروع تليها كمثلها يا صاح وأربعة تتبعها وهى فروع فروعها بعدها اثنى عشر بُرْدًا بغير مزاح، الرست أوَّلها ثم العراق لجانبه والزيل فكند الثالث وطبعُها الإصلاح، والأصفهان الرابع وهى الأصول

الأربعة ثم الفروع تليها كأنها مصباح، الزنكلا أولها، ثم البرزك قرابته وهوى حُسيْنى عالى تطرب بها الأرواح، مایاه حلو المجنَى مع بوسليك مراسله نوى وعشاق صارت فروع فروع ملاح.

وثمَّ وجه آخر من الأصول الأربعة ظهر نتاج فايق يزيدها إيضاح، الزنكلا والعشاق من برادات الرست فرْعا، فاسمع أخى واستعلم جواهر المرتاح، واعلم بأنَّ الماه وبُوسْليك تولدا من العراق الثانى بالجد لا بمزاح، وجابزوك ورهوى من زيلنكند بلا عنا، ثمَّ النّوى وحُسَينى من أصفهان صلاح. ثمَّ الأوازات فافهم من أين معنى ظهورها فيالها من ستة تكمل الأفراح. فكل اثنين (بردا) منها تولد لى نغم وأقف برسم الخدمه بناول الأقداح، فالرست لما استجمع مع العراق بنت خالته فمنهما يا عينى نيروز بغير نكاح وزيل فكند المطرب والأصفهان مراسله فمنهما قد تولد شنهاز بن نجاح من زنكلا يا حبيبى ومن بُرزك بلا عنا عزيز الجماعة محرك الأشباح، والرزلكشى من رَهَوى ومن حُسَيْينى قد طلع داخل وما هو خارج وما عليه جناح وهكذا من مایاه، وبُوسَليك بلا تعب حجاز مصرى عراقى طرب بغير نواح، ومن نوى والمغنى عشاق زين الدسكرة كوشت حلو المجنا بادى الشذا مرواح أما الشواذات أضحت فروع فروع فروعها دوكاه شاكاه جركاه جميعهن صحاح، وبتجكاه الخامس مع الرمل ابن عمته عُزال أضحى مُلازم للعكبرى ملاَّح. فالسسكرى يا معلم مع النهفت المختبر ثم المحبرزوالى كردانيا بنجاح. فهذه الاثنا عشر منها البحور الواضحة فَقِسْ عليها تربح وسرَّهن مُباح.

قلنا: البور تسعة من الشواذات التى ركزت بالحكمة وقالوا لا صباح للرست منها خمسة بحور بما فيها خلل وهى الأوايل منها للمُطرب النواح، وسبع نغمات تسع للرست غير بحوره. لكنها صوت لابث يحنن الأرواح فأوَّل البحر دُوكاه، يهبط على الرست بعدما يطلب علو الحُسَيْنى يطرب به المُرنَاح، وثانى البحر ساكاه تشيل منه بلا عنا وللعراق تعالا ساكن بغير صياح، وثالث البحر جركاه يشيل مه وينهبط دايم على الرست يشبه للأصفهانى صلاح، وأنه متحرك وثم فرق بينهم لأنه بالرست يعلو كما بدا المداح، ورابع البحر ظاهر هو البنجكاه بلا تعب يشيل بخامس نغمه ولا يفض سراح وفى ذرا الرست يهبط وبعد يتحاشا عجب وصار فى الحال يشبه نورز ابن سماح وخامس الوشتكاه يشبه حسينى مقتصد وهو قليل المسلك وما عليه جناح، وافهم معانى شرحى أن الأصول الأربعة قد ما زحت للعناصر كأسطر الألواح والرست مازح بطبعه بقدرة

الفرد الصمد وحكمة موضوعة قد قوبلت بفلاح، نفس التراب كما غدا العراق ممازجًا للماء فافهم هذا والماء عذب قراح والزيل فكند تعالى إلى الهوى يستصحبه والأصفهان تمادى للنار باستفتاح، وهكذا يا مهذب قد طابقت بمزاجها الأربع أخلاط دانت لها بغير براح، فالرست هو للسودا إن كنت صاحب معرفة افهم وقس واستفهم وخذ سلاف الراح، وللعراق البلغم، والزيل فكند تدبره للدم أضحى مطابق بحكمة الفتاح. وبعد ذلك للصفرا ومرها ياذا النهى الأصفهان فعالج ولا تقص جناح. وثم قوم تمعنوا وطابقوا بعقولهم لكل بردا منها برج بلا مفتاح، فللحمل أولها الرست والكل هكذا لآخر الاثنى عشر بعقد لا بسفاح. والله يعفو عنا دائما وعنكم برحمة، وأسأل الله توبة بالخمسة الأشباح، وانزحموا يا جماعة على الذى قد صاغها وحكها بمحكة وزادها إيضاح، وكل واقف عليها ينظر إليها بحكمته وإن تأمل نقصه يعمل لها إصلاح، والحمد لله وحده، ثم الصلاة على النبى وآله والصحابة من فالق الإصباح.

قال الراوى: قلت فاشرح لى ما ورد فيها ومن اتخذها وأباح منها ما أباحه وما لا يُباح، فقال: اسمع فصلا فى المعنى ـ الأنغام فى الألحان وقد وُضعت ثلاثون لحنًا من البرادات إثنا عشر، والإقرارات ستة، والشواذات إثنا عشر، وبعد الثلاثين مما عُمل من التلحين فهو مسروق. ومما ذكر عن وهب بن منيه عن الألحان أن نبى الله داود عليه السلام كان يقرأ «الزبور» وهو أحد الكتب الأربعة. بسبعين لحنًا كل لحن لا يشبه الآخر، وكان يحن الطيور إليه، وتصطف على رأسه، وتتساقط فى مجلسه، وتستأنس الوحوش إليه. وتحف به الأنعام، والهوام، والجن والإنس، وتسبح معه الجبال، فلا ينفصل مجلسه إلا وقد مات من الناس خلق كثير حتى أن الرجل كان إذا خرج إلى مجلس داود يوصى أخاه أو ولده أو جاره: «إننى متوجه إلى مجلس داود، فإن أنا مُت فوصيتى إلى أهل كذا وكذا، وكان أيضًا إذا قرأ «الزبور» يقف الماء الجارى، ويركد الهواء، ويَعْرَقَ المحموم، ويفيق المُغمَى عليه، وكل هذا من حنين الأرواح، إلى ما كانت تتأنس فى الأزل من نغمات دوران الأفلاك فافهم ذلك. ويرُى أيضًا. أنَّ إبليس لعنه الله، حيث رأى اجتهاد الناس فى العبادة فى زمن داود عليه السلام وإقبالهم على الأعمال الصالحة جعل يصنع على كل لحن من مزامير داود عليه السلام جنسا من الملاهى كالمزامير المختلفة للأصوات، وللأرغن، والعيدان، والمزاهر، والجنول، وغيرها من

أصناف القوانين للعب، وهى اليوم بأيدى الناس، وأمر أجناده من الشياطين أن تضرب بها بين الناس من السفهاء ـ من لا دين له ـ ليستميلهم عن العبادة، ويشغلهم بالملاهى فى زمن داود عليه السلام ـ حتى لا يمضوا إلى مجلسه حسدًا من إبليس لعنه الله، فكل من يصغى إليها على نوع من المنكر فهو مخطئ وكل من سمعها اشتياقًا إلى ما كان عليه فى الأزل على الوجه المشروع من باب الفقر والتصوف والعبادة، والتوحيد، فهو مصيب، والله أعلم. قال ثامر بن زمام فكسبت منه هذه الفائدة وكتبت عنه الفضيلة الزائدة، وفارقته شاكرًا وللوذعيته ذاكرًا، وودعته وداع الأحباب، وفارقته فراق الأصحاب.

obeikandl.com

المخطوطات الموسيقية العربية

وفى المتقطف ج ٦٧ ص ٥١٢ : (الموسيقى العربية) اطلعنا فى أعمال الجمعية الآسيوية الملكية على مقالة للمستر هنرى جورج فارمر موضوعها المخطوطات الموسيقية العربية فى دار الكتب البُدلية بجامعة أوكسفورد فاقتطفنا منها ما يلى تنويهًا بكتاب العرب كتبوا فى هذا الموضوع . قال الكاتب ما خلاصته :

إن أهم هذه المخطوطات ما يأتى :

الأول : رسالة الأربعة من القسم الأول من الرياضيات والموسيقى من «رسائل إخوان الصفا» للعارف المجريطى ، وهى أربعة عشر بابا :

١ ـ فى أصل صناعة الموسيقى للحكماء .

٢ ـ فى إدراك القوة السامعة للصوت .

٣ ـ فى امتزاج الأصوات وتنافرها .

٤ ـ فى تأثر الأمزجة بالأصوات .

٥ ـ فى أصول الألحان وقوانينها .

٦ ـ فى كيفية صناعة الآلات وإصلاحها .

٧ ـ فى أن حركات الأفلاك نغمات كنغمات العيدان .

٨ ـ فى أن إحكام الكلام صنعة من الصنائع .

٩ ـ فى تناسب الأعضاء فى الأصول الموسيقية .

obeikandl.com

١٠ ـ فى حقيقة نغمات الأفلاك.

١١ ـ فى ذكر المربعات.

١٢ ـ فى الانتقال من طبقات الألحان.

١٣ ـ فى نوادر الفلاسفة فى الموسيقى.

١٤ ـ فى تلون تأثيرات الأنغام.

الثانى: الكتاب الرابع فى الموسيقى من «رسائل إخوان الصفا» للعارف المجاريطى وهو كالأول.

الثالث: الفن الثامن من كتاب «الشفا»، وهو الموسيقى وفيه ست مقالات، ولكل منها فصول. المقالة الأولى فى الصوت، والثانية فى الأبعاد، والثالثة فى الأجناس والأنواع، والرابعة فى الجموع، والخامسة فى الإيقاع، والسادس فى التأليف. والنسخة مضبوطة بالشكل وبها يصلح ما فى غيرها من الخطأ.

الرابع: الفن الثالث من الجملة الثالثة من كتاب «الشفا» فى الموسيقى وهو مثل ما قبله.

الخامس: كتاب «الموسيقى» للشيخ الرئيس أبى على ابن سينا من كتاب «النجاة»، وهو غير مقسوم إلى أبواب وفصول، ولكنه يدور على المواضيع التالية، وهى الأصوات، والأبعاد، والأجناس، والجموع، والإيقاع، والانتقال، والصنج والشاهرورد، والطنبور، والمزمار ودساستين البربط، وتأليف الألحان.

السادس: كتاب «الموسيقى» الشرقية فى النسب التأليفية» لصفى الدين عبد المؤمن البغدادى، وهى مقسومة إلى مقالات وفصول:

(المقالة الأولى) فى الكلام على الصوت ولواحقه، وفى شكوك واردة على ما قيل فيه. و(الثانية) فى حصر نسب الأعداد أو الأبعاد بعضها إلى بعض واستخراج الأبعاد ونسبها المستخرجة من نسب مقاديرها ومراتبها فى التلاؤم والتنافر، وأسمائها الموضوعة لها. و(المقالة الثالثة) فى إضافات لأبعاد بعضها إلى بعض وفصل بعضها عن بعض واستخراج الأجناس من الأبعاد «الوسطى» و(الرابعة) فى ترتيب الأجناس فى طبقات

الأبعاد «العظمى» وذكر نسبها وأعدادها. و(الخامسة) فى الإيقاع وسبب أدواره والإرشاد إلى كيفية استخراج الألحان بالصناعة العملية. والكتاب مضبوط بالشكل.

الثامن: كتاب «الشرفيَّة فى معرفة النسب التأليفيَّة» وهو مثل ما قبله.

التاسع: كتاب «الأدوار فى الموسيقى» لصفى الدين عبد المؤمن الأرموى. وهو مقسوم إلى خمسة عشر فصلاً:

(الأول) فى تعريب الأنغام، وبيان الحدة والثقل. و(الثانى) فى أقسام الدساتين. و(الثالث) فى نسب الأبعاد. و(الرابع) فى الأسباب الموجبة للتنافر. و(الخامس) فى التأليف الملائم. و(السادس) فى الأدوار ونسبها. و(السابع) فى حكم الوترين. و(الثامن) فى العود وتسويته أوتاره واستخراج الأدوار منه. و(التاسع) فى أسماء الأدوار المشهورة. و(العاشر) فى تشارك نغم الأدوار. و(الحادى عشر) فى طبقات الأدوار. و(الثانى عشر) فى الاصطحاب الغير المعهود. و(الثالث عشر) فى أدوار الإيقاع، و(الرابع عشر) فى تأثير النغم. و(الخامس عشر) فى مباشرة العمل.

وفى هذا الكتب صورة عود وصورة آلة قائمة الزوايا تسمى: «نزهة» قيل فى «كنز التحف» إن مخترعها صفى الدين مؤلف هذا الكتاب.

وكتاب «الأدوار» هذا، بقى من أشهر الكتب عند العرب والفرس والهنود قرونًا كثيرة، وكل الكتب التى وضعت بعده تعتمد عليه.

العاشر: كتاب فى علم الموسيقى المرسوم بالأدوار، وهو مثل ما تقدمه ولكنه خالٍ من صور الآلات الموسيقية.

الحادى عشر والثانى عشر مثل كتاب «الأدوار» المذكور آنفًا.

الثالث عشر: كتاب نستخرج منه الأنغام تأليف الشيخ شمس الدين الصيداوى الذهبى، أكثره شعر، وفيه كلام على بحور الشعر، والأوازاث ودوائر البحور.

الرابع عشر: جزء من الكتاب الذى قبله.

الخامس عشر: كتاب «كنز الطرب وغاية الأرب» وهو مثل الكتاب الثالث عشر، ولكنه غير تام، وفيه فصل زائد فى استخراج الفروع من الأصول.

السادس عشر: كتاب فى علم الموسيقى ومعرفة الأنغام، وهو رجز وشرح عليه لمحمد بن محمد بن أحمد الذهبى الجزيرى بن الصباح.

السابع عشر: كتاب «الميزان فى علم الأدوار والأوزان» لم يذكر اسم مؤلفه، وهو مبنى على كتاب «الأدوار» المذكور آنفًا، ومقسوم إلى ستة أبواب فى ماهية الموسيقى. وماهية النغم المطلق والأوتار والمواجب ومعرفة الشدود والأوازات وأسماء الدساتين والإيقاع. انتهى.

obeikandl.com